التكامل المعرفي، مسوغاته وأهميته في الفكر التربوي الإسلامي

تاريخ الإرسال 2023/6/19 تاريخ القبول 2023/9/18

صلاح الدين توفيق المراكشي أحمد محمد الدغشي

الملخّص

هدفت الدراسة إلى التعرف على مفهوم التكامل المعرفي، وأسرته المفاهيمية، ووجه الفروق بينه وبينها؛ ثم الوقوف على مسوغاته، وبيان أهميته في الفكر التربوي الإسلامي، وقد استخدمت الدراسة لمعالجة هذا الموضوع المنهج الوصفي؛ وكان من نتائجها : أن مفهوم التكامل المعرفي تختلف دلالاته الاصطلاحية باختلاف مجال التخصص، وموضوع الدراسة، وهو يشير وأسرته المفاهيمية إلى تشابك علم مع علم آخر من أجل الحصول على نتائج متكاملة حول قضية ما؛ وأن للتكامل المعرفي من الأهمية والمسوغات (المعرفية، والمنهجية، والواقعية، والقيمية)؛ ما يجعله مطلباً ضرورياً يفرضه واقع التعليم والعلوم، ومشكلات العصر في تفسير الظواهر الكونية والإنسانية، ومواجهة التحديات المعاصرة على غرار ما قدمه علماؤنا السابقون ممن جمعوا بين الوحي المسطور والوحي المنظور. وأوصت الدراسة : بتفعيل مسار التكامل المعرفي بين العلوم خصوصاً في عملية إعداد المناهج والبرامج ورسم سياسات البحوث العلمية والخطط والاستراتيجيات.

(الكلمات المفتاحية: (التكامل المعرفي – المسوغات – الفكر التربوي الإسلامي)

Cognitive Integration: Its Rationale and Importance in Islamic Educational Thought

ABSTRACT

The study aimed to identify the concept of cognitive integration, its conceptual family, and the differences between them. Then identify its justifications, and indicate its importance in Islamic educational thought. The study used the descriptive approach to address this issue. One of its most important results was: that the concept of cognitive integration differs with its idiomatic connotations according to the field of specialization and the subject of the study, and it refers and its conceptual family to the intertwining of one science with another science in order to obtain integrated results on an issue; And that knowledge integration is important and justified (cognitive, methodological, realistic, and value); what makes it a necessary requirement imposed by the reality of education and science, and the problems of the age in interpreting cosmic and human phenomena and facing contemporary challenges similar to what our previous scholars presented who combined between written revelation and visible revelation. The study recommended: activating the path of knowledge integration between sciences, especially in the process of preparing curricula and programs and drawing scientific research policies, plans and strategies.

Keywords: (Cognitive Integration, Justifications – Islamic, Educational Thought)

مقدمة:

إنَّ الدعوة إلى فكرة التكامل المعرفي ليست وليدة القرن 21 بل نجد جذورها قديمة مارسها أسلافنا القدامى من علمائنا المسلمين الذين كانوا ينظرون إلى القضايا العامة بنظرة تكاملية شمولية، ولا أدل على هذا المسلك المحمود؛ حينما نتصفح كتاب: " **إحياء علوم الدين** " للإمام أبي حامد الغزالي ت 505 هـ أول ما يقع عليه بصر القارئ عنوان الكتاب الموسوم بـ : " إحياء علوم الدِّين" ولم يقل : " علم الدِّين "، وتضمن الكتاب جملة من المعارف التي تنتمي إلى علوم الوحي وعلوم الكون، وابن رشد الحفيد ت 595 هـ في كتابه : " **فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال** " حيث نجده هو الآخر يؤكد على إمكانية تكامل المعارف بين علوم الشريعة، والفلسفة، والمنطق، إذا كان الهدف منها الدلالة على الخالق المبدع الصانع. وهكذا ابن تيمية ت 728 هـ في كتابه : " **درء التعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول**" حيث انتهت نظرته التكاملية بين (الوحي) و (العقل) إلى أنَّ العقل الصحيح لا يعارض النقل الصريح. ويبقى أبرز محاولة في هذا المجال ما قدمه ابن خلدون ت 808 هـ في كتابه : " **التاريخ** " حيث عرض تاريخ العلم في الإسلام وربطه بالتاريخ العام للمجتمع الإسلامي فلم يفصل بين العلم وبيئته وفلسفته.

ونجد نفس هذا الحس العلمي أيضاً في التاريخ الأوروبي وعصوره المتعاقبة بدءاً من القرن 17 عبر الفيلسوف الفرنسي: رينيه ديكارت، ت 1650م الذي جمع بين علوم : (الرياضيات والفلسفة) والفيلسوف الإنجليزي جون لوك ت 1704م، الذي جمع بين (الفلسفة، والقانون، والطب) وكذا ديفيد هيوم الاسكتلندي ت 1776م الذي جمع بين (الفلسفة، والتاريخ، وعلوم الاقتصاد)، مروراً بالقرن 20 ميلادي ومن أبرزهم فيه الفيلسوف الإنجليزي: برتراند راسل ت 1970م الذي جمع بين علوم

الرياضيات والفلسفة، واللائحة تطول في تاريخ الفكر الإسلامي والفكر الأوروبي. فهذا التناغم في العناوين والطرح العلمي يدل على أن هناك قبولاً بفكرة التكامل المعرفي لدى العلماء والمفكرين الإسلاميين والغربيين، فرغم تخصصهم الدقيق تجد الموسوعية حاضرة في إنتاجاتهم الفكرية يجمعون فيها بين علوم شتى آخذ بعضها برقاب بعض للإسهام في بناء الحضارة.

إنَّ العديد من القضايا المعاصرة اليوم التي تواجه المجتمع الإنساني في القرن 21 الميلادي تتطلب فعلاً منهجاً تكاملياً في البحث والتعليم لتحقق نتائج إيجابية مقبولة، وحالياً هناك تفهم واسع بأن الأزمات العالمية التي تواجه الإنسانية تتطلب منا إيجاد أساليب جديدة من المعرفة والفهم الدقيق للقضايا.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

شهدت المعرفة البشرية منذ القرن 19 وإلى يومنا الحاضر عملية تفتيت وتجزيء بين العلوم الإسلامية على وجه الخصوص والعلوم العصرية في المصنفات العلمية. (دباغين 2019م).

وقد يكون لهذا النوع من التوجه والاختيار ما يبرره على مستوى التخصص؛ إلا أن الجمود على هذا المشرب الوحيد أفرز لنا قطيعة بين العلوم، في حين أنها متكاملة بطبيعتها ولها مسوغاتها. – ولا يعني الباحثان– على أنّ الأمة الإسلامية على وجه الخصوص لا تتوفر على ذخيرة من التأليف العلمية والمشروعات البحثية والاجتهادات الفكرية الجيدة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ وإنما لا تزال الأمة تطمح إلى المزيد من الانفتاح على باقي العلوم الأخرى التي تخدم البحث العلمي من جهة، ومن جهة أخرى تجيب على قضايا الناس برؤية شمولية تكاملية.

وسيحاول الباحثان الإجابة عن أسئلة الدراسة الآتية :

1- ما مفهوم التكامل المعرفي وأسرته المفاهيمية ووجه الفروق بينها ؟
2- ما مسوغات التكامل المعرفي (المعرفية والمنهجية والواقعية والقيمية) ؟
3- ما أهمية التكامل المعرفي كمحور أساس من محاور الفكر التربوي الإسلامي ؟

أهداف الدراسة :

يهدف البحث الحالي إلى:

1- التعرف على مفهوم التكامل المعرفي وأسرته المفاهيمية مع بيان الفروق بينها.
2- الوقوف على مسوغات التكامل المعرفي (المعرفية والمنهجية والواقعية والقيمية).
3- بيان أهمية التكامل المعرفي كمحور أساس من محاور الفكر التربوي الإسلامي.

أهمية الدراسة:

وتكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

1- التحسيس بضرورة التكامل المعرفي بين العلوم المختلفة والمتنوعة فيما بينها.
2- اعتبار التكامل المعرفي مشروعاً معرفياً يستطيع أن يؤمِّن للفكر العربي والإسلامي مساراً مستقبلياً يخرجه من أزماته.
3- السعي إلى تضمين العلوم العصرية في برامجنا التعليمية وبحوثنا العلمية باعتبارها وحدة منسجمة ومتكاملة تساهم إلى جانب العلوم الإسلامية في صناعة الإنسان العابد لله تعالى المتوازن روحاً وفكراً ومنهجاً.

منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي الذي يقوم على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة. الأنصاري (1997م)

الدراسات السابقة والتعقيب عليها:

تعددت الدراسات والبحوث العلمية حول موضوع التكامل المعرفي لدى الكُتَّاب والباحثين المعاصرين وتناولوه من جوانب عدة سواء ما يتعلق بضرورته الحضارية، أو في علاقته بالمعرفة، والقيم، والتعليم، وبناء المناهج التعليمية... إلخ، ولعل من أقرب الدراسات المعاصرة ارتباطاً بموضوع الدراسة الحالية :

- **دراسة إبراهيم أبوبكر(2007م)**، عنوان كتابه : " **التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية** " هدفت الدراسة إلى تعريف مفهوم التكامل المعرفي كما تناولته أدبيات إسلامية المعرفة من داخل المنظومة الإسلامية، وتفعيله كنموذج داخل الجامعات الإسلامية مع تحديد المبادئ والأسس العامة لتصميم مناهج جامعة إسلامية ومناقشتها بما يعين على صياغة نظريات أو نماذج تربوية إسلامية في التعليم الجامعي، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة مفهوم التكامل المعرفي، وركزت في شقها التحليلي التقويمي على مناهج كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا كنموذج. وخلصت الدراسة لعدد من النتائج من أبرزها :

- إثراء تجربة التكامل المعرفي بكلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية – ماليزيا – بتجارب أخرى لجامعات إسلامية.

- تجاوز التجربة للصعوبات التي واجهتها في بدايتها والعمل على تطوير جوانب النقص.

وأوصت الدراسة بضرورة إنشاء وحدة للمناهج لتشرف على مهمة تأليف الكتاب الجامعي وإجراء دراسات للمشكلات اللغوية.

- **دراسة عقلية حسين (2007م)** عبارة عن ورقة عمل تحمل عنوان: " **ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري**" تقدمت بها الباحثة ضمن أعمال المؤتمر الذي نظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية 2012م، وهدفت الدراسة إلى معالجة إشكالية التكامل المعرفي بين العلوم ودوره في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري بالنسبة إلى الطالب الجامعي من أجل بناء مناهج وتصورات تنتج طالب علم يتحقق فيه التكامل بين القيم والعلم والدين والمعرفة والأخلاق والشهادة كما دلت عليه نصوص الشريعة من القرآن والسنة ومقاصدها وأقوال العلماء واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي، وكان من أبرز نتائج الدراسة ما يأتي :

- إعادة الاعتبار لتكاملية المعرفة داخل المنظومة التعليمية باعتبارها السبيل الأقرب لتأسيس رؤية جديدة لواقع التعليم ومنتظراته كأكبر رهانات التنمية البشرية وأكثرها حسماً في تحديد حاضر الأمم ومستقبلها.
- ضرورة التكامل بين الدِّين كنص والعقل كمستنبط للعلم.
- معالجة إشكالية الوصل والفصل بين مختلف المناهج المؤثثة لفضاء المعرفة العلمية ومحاولة إيجاد خيط ناظم بين المعارف العلمية الإنسانية وبخاصة على المستوى التعليمي والتربوي.

وأوصت الدراسة بتفعيل التكامل المعرفي في التحصيل بقدر المستطاع من غير إخلال بالتخصص ومن غير عداوة لما يجهل من العلوم وحملتها، وهذا التكامل المعرفي يمكن تحقيقه بدءاً بمجال العلم والدِّين والأخلاق وصولاً إلى التكامل في التحصيل، والمنهج، والتكوين، والتصنيف.

- **دراسة فتحي ملكاوي (2011م)** بعنوان : " **منهجية التكامل المعرفي** " (مقدمات في المنهجية الإسلامية)، يعتبر كتابه أول محاولة علمية جادة ممنهجة بعد الدراسة الأكاديمية التي قام بها إبراهيم أبوبكر (2007م) السالفة الذكر- حيث هدف فتحي ملكاوي من خلال كتابه إلى الارتقاء بموضوع التكامل المعرفي من مستوى الفكرة والتنظير إلى مستوى الكتابة والتطبيق؛ وفق رؤية منهجية مضبوطة، يرسم معالمها الباحثون والأساتذة الأكاديميون في مصنفاتهم العلمية ومشروعاتهم البحثية خدمة لمشروع الأمة الحضاري.

واستخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي وخلصت نتائج الدراسة إلى:

- أنَّ التكامل المعرفي أسهم إسهاماً فاعلاً في تشخيص أزمة الفكر المنهجي.
- أنَّ التكامل المعرفي أسهم في عملية الإصلاح الفكري وبناء الوعي المنهجي واستشراف العالَم.
- أنَّ التكامل المعرفي من منظور إسلامي يظهر في ثلاثة مستويات، وهي كالتالي : تكامل المصادر، وتكامل الأدوات، وتكامل المصادر والأدوات.

وأوصت الدراسة بمراعاة جملة من المبادئ الأساسية حين التنظير و التنزيل لمشروع التكامل المعرفي وهي:

- تحديد الدلالة المباشرة لمفهوم التكامل المعرفي.
- حسن التعامل مع أهداف العلوم ومضامينها وعدم الاقتصار على تاريخ العلوم.

- التكامل في شروط تحقيق التكامل المعرفي.

- **دراسة عُلا السيد اسماعيل (2016م)** ورقة عمل نشرت على مجلة كلية التربية – بجامعة المنوفية – العدد: 3، تحمل عنوان " **إسلامية المعرفة مدخل لتحقيق الإصلاح التربوي داخل كليات التربية** " وهدفت الدراسة إلى صياغة رؤية تربوية مقترحة من خلال أسلمة العلوم التربوية كمدخل لتحقيق الإصلاح التربوي في كليات التربية ولن يتأتى ذلك في نظر الباحثة إلا بتحديد الإطار الفكري الحاكم لمفهوم إسلامية المعرفة وتحديد مجالات تحقيق الإصلاح التربوي داخل كليات التربية في ضوء مفهوم إسلامية المعرفة، والكشف عن المعوقات التي تحول دون تحقيق إسلامية المعرفة داخل كليات التربية، ومعرفة المتطلبات اللازمة لتفعيل إسلامية المعرفة في العلوم التربوية.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وخلصت إلى مجموعة من النتائج من أبرزها:

- الدعوة إلى التكامل المعرفي من خلال الجمع بين قراءة الوحي للكون وقراءة الكون في فهم الوحي.
- التوجه نحو إسلامية المعرفة كمدخل لتحقيق الإصلاح التربوي في كليات التربية الذي تفرضه ثلاثة اعتبارات : أولها : نموذج جامعة ماليزيا الرائد في هذا المجال منذ 1983م، وتحوي الجامعة على كليتي الشريعة والقانون، والاقتصاد وإدارة الأعمال، وبمركزين أحدهما: للمعارف الإسلامية والآخر: للغات، وبرامج للدراسات العليا في قسم التربية الإسلامية. ثانيها: وجود رؤى تذهب إلى درجة من إسلامية المعرفة بكلية التربية. ثالثها : تبني إسلامية المعارف كمدخل لتحقيق الإصلاح التربوي في كليات التربية يجنب الاصطدام

الحضاري ويحافظ على الهوية والانتماء ويحقق الطموحات في مواجهة التحديات.

وأوصت الدراسة بما يأتي :

- العمل على إصلاح المنظومة الحضارية بدءاً بالمفاهيم التي تشغل الشعوب الإسلامية ثم العمل على توظيف هذه المفاهيم في الواقع وفي مظاهره المتعددة ثم بناء المناهج التي تحدد كيف يتم صياغة المعرفة والعلوم ثم العمل على إنجازها للتيقن من صدق المفهوم وتصحيح مسار العمل لبناء الحضارات.
- العمل على الخروج من أزمة وضع السياسات التعليمية في الوطن العربي الذي يتطلب أن يكون على قدر من الحقيقة والواقعية والمصداقية والإنفاق عليه ومراعاته للصالح العام واجتنابه فئوية معينة حتى تكون نتائجه جادة وفعالة ومستقلة.

- **دراسة محمد حسن (2019م)**، عبارة رسالة دكتوراه بعنوان " **إسلامية المعرفة مدخل لتحقيق التكامل المعرفي مدخل لتحقيق التكامل المعرفي في قسم التربية الإسلامية** " نوقشت الرسالة بمصر، وهدفت إلى تحديد الإطار المفاهيمي حول " إسلامية المعرفة " و"التكامل المعرفي" وكشفت عن مظاهر التكامل المعرفي في المنهج الدراسي وواقع تحقيق التكامل المعرفي بقسم التربية الإسلامية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي لتحديد معوقات التكامل المعرفي وسبل تحقيقه بالقسم المذكور، وقد اعتمدت الدراسة في جانبها الميداني على عينة البحث، مكونة من أساتذة المادة، للوقوف على متطلبات تحقيق التكامل المعرفي، وتصوراتهم حوله، وإسلامية المعرفة، وآلية تطبيقه في الفكر

التربوي والمقررات الدراسية بقسم التربية الإسلامية كلية التربية جامعة الأزهر وكان من أبرز نتائج الدراسة ما يأتي :

- عدم وجود فرق جوهري بين مفهومي " إسلامية المعرفة " و " التكامل المعرفي".
- الاهتمام بالجانب التطبيقي في إعداد المقررات الجامعية من خلال الجمع بين النظرية وآلية تطبيقها.

وأوصت الدراسة بأمور عدة من أهمها :

- نشر فلسفة التكامل المعرفي بين أعضاء هيئة التدريس وتوعيتهم بأهميته ونتائجه الإيجابية وآلياته وإجراءاته.
- توفير التجهيزات التعليمية من معامل ومصادر تعليم التي تضمن تحقيق مظاهر التكامل المعرفي في العمليات التعليمية.

- **دراسة علي العجين (2020م)** بعنوان : " **التكامل المعرفي بين السنة النبوية والعلوم العصرية**" طبع الكتاب بالأردن، وهدفت الدراسة إلى تحديد الإطار المفاهيمي للتكامل المعرفي، ومنطلقاته، ضمن مشروع إسلامية المعرفة، مع بيان أوجه التكامل المعرفي بين السنة النبوية والعلوم العصرية وفق ضوابط علمية وإجراءات تنفيذية كشفت عنها الدراسة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليأتي، وكان من أبرز نتائج الدراسة ما يأتي:
  - أنَّ السنة النبوية توجه علوم العصر وفق الرؤية الإسلامية والعلوم العصرية تعين على شرح السنة وتسهل فهمها برؤية عصرية تجديدية.
  - أنَّ التكامل المعرفي بين السنة النبوية والعلوم العصرية ينطلق من ثلاثة منطلقات : الأول : التكامل المعرفي بين الكتاب والسنة، والثاني :

التكامل المعرفي بين الوحي والعقل، والثالث : حرص السنة على اكتساب العلوم النافعة.

- للتكامل بين السنة النبوية والعلوم العصرية ضوابط معرفية وإجراءات تنفيذية.

وأوصت الدراسة بإيجاد تخصصات علمية على نحو يجمعها مع السنة النبوية فيقال مثلاً : السنة النبوية الاقتصادية – السنة النبوية السياسية – السنة النبوية الاجتماعية – السنة النبوية التربوية السنة النبوية النفسية – السنة النبوية الوجدانية – السنة النبوية الإدارية وغيرها.

من خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح ما يأتي:

- تعرضت الدراسات السابقة لبيان مفهوم التكامل المعرفي ومنهجيته وسياقاته التاريخية ومنطلقاته وأهميته من منظور تربوي إسلامي.
- دعت المختصين إلى تشخيص المشكلات بين العلوم ومحاولة إيجاد حلول الربط بينها.
- دعت إلى اعتماد التكامل المعرفي في المقررات الدراسية والمناهج التعليمية على اعتباره المفتاح الأساس في عملية إصلاح الفكر والتعليم.

وتبقى الدراسات السالفة الذكر على أهميتها وقيمتها إلا أنها لم تتعرض لمسوغات التكامل المعرفي، ومنطلقاته، وأهميته من منظور تربوي إسلامي على نحو البيان والتفصيل والتقسيم الذي تعرض له الدراسة الحالية.

المبحث الأول: مفهوم التكامل المعرفي وأسرته المفاهيمية

المطلب الأول: تعريف التكامل المعرفي لغة واصطلاحاً

للوقوف على مفهوم التكامل المعرفي فإنَّ الأمر يقتضي منا بداية تعريفه بالنظر إلى مفردتيه باعتباره مركباً وصفياً مكوناً من كلمتين: "التكامل" و"المعرفي".

التكامل في اللغة: مشتق من كلمة (كمَل) والكمال هو التمام، وقيل: التمام الذي تجزَّأَ منه أجزاؤه، وفيه ثلاث لغات: كمَل الشيء يكمُل، وكمِل، وكَمُل، كمالاً، وكُمولاً. (ابن منظور بدون ذكر تاريخ الطبعة). وقد ورد هذا اللفظ في القرآن بنحو هذا المعنى كما في قوله تعالى﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (3: المائدة) . قال ابن كثير (1997م) معلقاً على هذه الآية : "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم– صلوات الله وسلامه عليه – ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجنّ، فلا حلال إلا ما أحلَّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء اخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (115: الأنعام) وأكمل هنا بمعنى: أنهى الأمر بالتدريج وعلى مراحل منقطعة، فكان نزول القرآن على فترات دامت 23 عاماً، وأتمَّ هنا بمعنى: أنهى الأمر مرة واحدة بدون انقطاع.... الكفوي (1998م)

التكامل في الاصطلاح: يعد من المصطلحات التي يشيع استعمالها في الكتابات الفكرية والثقافية والذي يحمل دلالات متنوعة على ما سيأتي بيانه. وتوحي كلمة التكامل إلى أن جزء الشيء أو الأجزاء المتعددة للشيء الواحد قد اتحدت وتوحدت واندمجت واختلطت، وأخذت شكلاً واحدا؛ ولهذا فقد اكتمل وتم. الدغامين (2013م).

فمن خلال هذا؛ يتبين لنا أنَّ مصطلح" التكامل "في معناه: يقتضي وجود مجموعة من العناصر تنضوي تحتها أجزاء، يعتريها النقص بمفردها؛ فتتكامل فيما بينها لتحقق التمام.

المعرفة في اللغة: تعود في أصل اشتقاقها إلى الفعل الثلاثي" عَرف "، " العين والراء والفاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والأخرى على السكون والطمأنينة... تقول: "عرف فلان فلاناً عِرفاناً ومعرفة، وهذا أمر معروف، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه؛ لأنَّ من أنكر شيئاً توحش منه ونبا عنه " ابن فارس (1979م). وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه، وعرَّفه بيته أي أعلمه بمكانه، وعرفه به وسَمه، قال سيبويه: عرَّفته زيداً، فذهب إلى تعدية عرفت بالتثقيل إلى مفعولين " (ابن منظور مرجع سابق).

المعرفة في الاصطلاح: لخص الجرجاني معناها – بعد إيراده لجملة من التعاريف – حولها؛ مع بيان الفرق بينها وبين" العلم على أنَّ "المعرفة" إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل؛ بخلاف العلم، فيقال: الله عالِم، ولا يقال: الله عارِف. الجرجاني (2002م).

ويمكن القول بخصوص بلوغ درجة الإدراك المطلوب في المعرفة أنه بمعنى: أنْ يصل إنسان إلى علم من المعلوم أو يكتشف حقيقة مجهول إما: بإدراك كلي أو بإدراك جزئي عن طريق الحواس الخمس / أو التجربة / أو الملاحظة، / وعندما يصل الإنسان إلى هذا الإدراك الكلي أو الإدراك الجزئي– فحينئذ يحصل علماً. فتكون "المعرفة" هنا، أخص من "العلم"؛ كما سبق بيانه أعلاه. فيقال: "فلان يعرف الله ورسوله"، ولا يقال: يعلم الله "متعدياً إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله تعالى

هو تدبر آثاره دون إدراك ذاته" ويقال: مثلاً: عرفتُ الله، ولا يقال: علمتُ الله. يراد به إدراك الجزء دون الكل. الباقر(2011م)

التكامل المعرفي اصطلاحاً: تعددت تعريفات الباحثين حول مصطلح التكامل المعرفي في إطار مشروعية إسلامية المعرفة أو أسلمة المعرفة إلى أقوال كثيرة من أجمعها التعريفات الآتية:

- التكامل المعرفي: هو إطار منهجي يحقق التكامل بين مصادر المعرفة بشقيها الوحي والكون وفق الرؤية الكلية الإسلامية مستهدفاً بناء شخصية الفرد المسلم والمجتمع المسلم " حسن (2019م).
- وقيل هو: قضية فكرية منهجية من حيث إنها ترتبط بالنشاط الفكري والممارسة البحثية وطرق التعامل مع الأفكار" ملكاوي (2016م) .
- وقيل: هو النظر إلى المعرفة التي تقدم للمتعلم وفق رؤية كلية متصلة لا منفصلة... " اسماعيل (2017م)

ففي ضوء التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة فإن مقصود الباحثين بالتكامل المعرفي تلك الإفادة المتبادلة بين العلوم الإسلامية والعلوم الاجتماعية والطبيعية... في ضوء فلسفة التكامل في التربية الإسلامية.

المطلب الثاني: أسرة التكامل المعرفي المفاهيمية :

غالباً ما يشير مفهوم التكامل المعرفي في أدبيات المعرفة إلى العديد من المفاهيم المتقاربة من أشهرها:

إسلامية المعرفة Islamization of Knowlege: وتعني" فك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة، وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن نظام منهجي ديني غير وضعي فأسلمة العلم التطبيقي

والقواعد العلمية أيضاً، وذلك بفهم التماثل بين قوانين العلوم الطبيعية وقوانين الوجود التي ركبت على أساسها القيم الدينية نفسها، ولذلك تتم أسلمة الإحالات الفلسفية للنظريات العلمية بحيث تنفي البعد الوضعي، وتعيد صياغتها ضمن بعدها الكوني الذي يتضمن الغائية الإلهية في الوجود والحركة " حمد (2003م) .

ويمكننا الإشارة إلى أن هناك اختلافاً بين وجهتين إحداهما – وهي الشائعة – تذهب إلى أنَّ اسماعيل الفاروقي هو أول من أطلق هذا المصطلح" إسلامية المعرفة "وتبناه، وأسس لذلك مؤسسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، مطلع الثمانينات الميلادية من القرن المنصرم، على حين يرى أبو القاسم الحاج حمد أنَّ سيد نقيب العطاس رئيس المعهد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية بكوالامبور – ماليزيا – هو أول من أطلق هذا المصطلح قبل الفاروقي. حمد(2004م).

وإنَّ المتأمل بين هذا المصطلح" إسلامية المعرفة "و" التكامل المعرفي "يجد بينهما علاقة عموم وخصوص، فالإسلامية؛ تنطلق من مبدأ وحدة العلوم والمعارف، باعتبار أنَّ أصل مصدريتها ينبغي أن تتوحد في الوحي والكون، بأداتي: الحس والعقل، كأدوات رئيسة، على حين أنَّ التكامل، تنطلق من خلال تلك المصدرية الموحدة لتتكامل فيما بينها، على نحو من الاتساق والتآزر.

- التداخل المعرفي: Congnitive Interference يرى محمد همام على أنه المفهوم الأقرب إلى: " التكامل المعرفي "فهو لا يقتصر أي: " التداخل المعرفي "– بحسب قوله– على لقاء عابر بين مختصين في حقول معرفية متنوعة يتحدثون فيها عن موضوع ما، ولكنه أيضاً عملية لدمج مسالك المعرفة في مسلك واحد متداخل يوفر لها القدرة على التفسير الكلي للكون وظواهره

المختلفة، وغاية ما فيه هو الوصول إلى عظمة الخالق التي تستوجب بدورها عبادته والقرب منه وطلب مرضاته. همام (2018م)

- الموسوعية: Enceyclopedic Knowledge تستخدم هذه الكلمة للدلالة على شخص ما" يتسم بالموسوعية في معارفه، بمعنى إجادته لعدد من العلوم والمعارف، على نحو يتجاوز الإلمام الثقافي إلى العمق النسبي في تلك المجالات. وتحت هذا السياق يجري التنويه ببعض علماء الإسلام ممن اتصفوا بالتكامل المعرفي (الموسوعية) في علوم شتى؛ ممن جمعوا بين اللغة والأدب والفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث والتاريخ وربما علم الفلك والطب أو الرياضيات والفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم والفنون.
- التهجين: وهو مصطلح على محدودية انتشاره في هذا السياق ولكن استعمله بعض الباحثين بمعنى التمازج بين الأجناس الفنية أو الأدبية بوصفه سمة مهمة من سمات المقامة والرواية ويمكن وصفه بتمازج اثنين أو أكثر من الخطابات اللغوية المختلفة. شبيل (2006م) ويوضح (باختين) أنّ مصطلح التهجين لا يعني مجرد اختلاط وامتزاج واتحاد بين العناصر فقط، فما يراد منه هو تفاعل الاطراف المنصهرة على نحو تلتقي فيه بظلالها على بعضها الآخر، وتعبر عن الكيانات اللسانية والاجتماعية تعبيراً فيه الكثير من التبادل والتجادل، وهكذا فإن إدراك مستويات التهجين بمثابة الاستماع إلى الصوت داخل صوت آخر وأن هذا الإدراك شبيه بمحاولة تبين مختلف التنغيمات في لحن من الألحان. عروس (2001م). والواقع أنه إذا جاز لنا حشر هذا المصطلح في إطار الأسرة المفاهيمية لمصطلح التكامل المعرفي؛ فإنَّ ذلك، لا يتجاوز الأنساق اللغوية والأدبية وما يدور في فلكهما.

- الدراسات البينية: Interdiciplinary عبارة عن بحوث علمية معمقة لا يكتفي أصحابها بالتخصص الدقيق، وإنما يتوخون الكشف عن مناط: (التخوم، والتجاور، والتلاؤم، والتلاقي، والتقاطع، والتشابك، والتقارب...) بين العلوم.
- و"الدراسات البينية" دراسات تجمع بين النظرة التخصصية الدقيقة والنظرة الموسوعية الشاملة، وتؤمن بالتكامل المعرفي بين كافة العلوم، وترى بأن هذا التكامل بات ضرورة من ضرورات المنهج العلمي النافع في هذا العصر. وهناك دراسات حديثة عديدة أشارت إلى هذا المعنى نذكر منها على سبيل التمثيل:
  - دراسة مكاكي(2021م) بعنوان: "الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية"
  - دراسة للباحثين العوفي وصوفي(2015م) بعنوان: "العلاقات البينية بين العلوم الاجتماعية والعلوم الأخرى: تجارب وتطلعات".

ويخلص الباحثان من هذا كله إلى أنَّ مفهوم التكامل المعرفي وأسرته المفاهيمية في الإطار الإسلامي يحملان في دلالتهما معنيين متقاربين:

المعنى الأول: تشابك علم مع علم آخر من أجل الحصول على نتائج متكاملة حول قضية ما.

المعنى الثاني: الدعوة إلى الإلمام بالعلوم الأخرى بما يخدم التخصص العلمي.

المبحث الثاني: مسوغات التكامل المعرفي

وقف الباحثان على مجموعة من المسوغات (المعرفية والمنهجية والواقعية والقيمية) تدعونا كباحثين للاتجاه نحو التكامل المعرفي.

المطلب الأول: مسوغات معرفية

وذلك على النحو التالي:

- إنَّ المعرفة الإنسانية كل لا يتجزأ، ولا يمكن تحصيلها إلا بمنهج متكامل بين مختلف الحقول المعرفية والتخصصات العلمية.
- إنَّ المواد الدراسية المنظمة والمترابطة ترسخ في ذهن المتعلمين فترة أطول على عكس المعلومات المجزأة أو غير المترابطة.
- شمولية المشكلات المجتمعية والحياتية وطبيعتها المتكاملة فقد تكون أبعاد المشكلة نفسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو بيولوجية... إلخ. والفهم المتكامل لحل هذه المشكلة يتطلب معالجتها من تلك الحقول والعلوم ذات العلاقة.
- الانفتاح على العلوم بأن تثري كل جهة من خلال التكامل معارفها وأفكارها وتكتشف من خلاله نقاط الالتقاء ومواطن الافتراق مع العلم الآخر الذي تشاركه المعلومة وتخلق جواً من التنافس المعرفي في تقريب الحقيقة إلى عموم الناس. وفي تربيتنا الإسلامية نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم انفتح على العديد من الثقافات والعلوم الأخرى ولو كانت غير إسلامية. من أبرزها إذنه صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل زيد بن ثابت أحد كتبة الوحي في أن يتعلم العبرية لغة اليهود حتى يكاتبهم بها ويقرأ عليه كتبهم إذا وردت إليه فتعلمها. البخاري (2002م.)

- تحرير ذهنية الطالب من التقوقع على التخصص العلمي وحده مما اضطر العقل الإسلامي المعاصر بالخصوص إلى إعادة النظر والتفكير حول إمكانية التكامل المعرفي من جديد بين مختلف العلوم والعلوم الشرعية لمواكبة التطور العلمي والتكنولوجي المتسارع في شتى المجالات، وإيجاد إجابات علمية نوعية أكثر دقة وشمولية، فيجمل بالمتخصص هنا أن يطلع وينفتح على العلوم الأخرى ويغرف منها بالقدر الذي تخدم موضوع تخصصه. وفي هذا يقول القرافي: "وكم يخفى الحق على الفقيه والحاكم في مسائل كثيرة بسبب الجهل بالحساب، والطب، والهندسة، فينبغي لذوي الهمم العلية، ألا يتركوا الاطلاع على العلوم ما أمكنهم". القرافي (2003م).

المطلب الثاني: مسوغات منهجية

وذلك من خلال تفعيل المناهج على إحدى درجات التكامل الثلاث الآتية:

أولاً: التناسق: Coordination كأدنى درجات التكامل؛ بحيث يتم الربط فيه بين مادتين مختلفتين يجمعهما موضوع مشترك. "مثل: إحداث التكامل بين الأدب في العصر الإسلامي والتاريخ الإسلامي.

ثانياً: الترابط: Combination أعلى درجة من التناسق؛ ويقوم على: " إيجاد الصلات بين المواد الدراسية، أو بين بعض الموضوعات ". عبد الوجود وآخرون (1981م) . فيعمل مثلا: على تكامل فروع منهج التربية الإسلامية وفق موضوع معين أو محور معين أو حول فكرة؛ لإبراز العلاقات التي تربط بين هذه الفروع.

ثالثاً: الإدماج Intergration: يعد أعلى مرتبة من سابقيه؛ يعمل على" إزالة الحواجز بين مادتين أو أكثر بحيث لا يكون لأحدهما كيان مستقل عن الآخر؛ مثل: دمج الكيمياء والأحياء فيما يسمى بالكيمياء الحيوية، ودمج الكيمياء والفيزياء فيما

يسمى بالكمياء الفيزيائية ". شهاب (1986م). وهذه الدرجة يمكن الاستفادة منها في التربية الإسلامية كما في التفسير بالمأثور، والأحاديث النبوية المدعومة بنصوص القرآن، وفي التاريخ المسند أي: القائم وفق منهج المحدثين.

- معاناة المناهج الدراسية في العالم العربي والإسلامي من انفصام بين مقرراتها المختلفة من جهة وبين النظرية والتطبيق من جهة أخرى، وهذا الواقع أفرز لنا تناقضاً بين قيم ندرسها، و بين قيم نستوردها من دون تأصيل ولا رابط ولا ضابط بينها وبين الحقول المعرفية الأخرى؛ فيدرس التلميذ مثلاً: القيم الإسلامية في المدرسة، في حين يجد عكس هذه القيم في مناهج ومقررات تربوية أخرى، أو يجد عكس هذه القيم خارج أسوار المدرسة، ولعل السبب في هذا يرجع إلى قصور معرفي أو منهجي أو إجرائي.
- تزويد المختصين في مجال التربية الإسلامية: ببعض المستلزمات أي: أنّ المشتغلين في حقل التربية الإسلامية يحتاجون إلى التدرب على المهارات العقلية والحسية في إطار تخصصهم النابع من مصدرية الوحي في الأساس. وارتباطهم بالعلوم المختلفة بما فيها العلوم الطبيعية والاجتماعية، نزودهم بتلك المهارات، في جوانب الأدلة العقلية، والحسية، والقواعد، والضوابط، والبرامج، والمناهج، والطرائق، التي تعمل على تطوير الإنتاج العلمي الفكري لبناء الحضارة بصورة متكاملة ومن المعين في هذا الباب:

استخدام وسائل تعليمية وأساليب متطورة حديثة وتطبيقات عملية لتقريب مادة التربية الإسلامية أكثر من أذهان التلاميذ، إذ لا يزال الكثير من قضاياها النظرية والعملية بحاجة إلى المزيد من التبسيط والإيضاح حتى تكون أكثر فاعلية وأبلغ أثراً في تحقيق أهدافها التربوية؛ كما الحال في علاج بعض (الانحرافات السلوكية) وهنا

ينبغي أن تأخذ المعالجة التربوية أمام كل ظاهرة ما يناسبها من أساليب ووسائل وبدائل بما يوافق المرحلة العمرية.

- التخلص من عملية التكرار بين المواد التي تتصف بها مناهج المواد الدراسية المنفصلة؛ كأن يدرس الطالب مثلا: موضوع" البيئة "في مادة العلوم الطبيعية للصف الرابع، ثم يدرسها في العلوم الاجتماعية لنفس الصف..! أو في صفوف لاحقة بنفس المنهج والمقاربة! وإنما المطلوب أن تركز هذه المناهج على نقل المعرفة للطالب على نحو متدرج وبترتيب معين ينتقل بالمتعلم من الماضي إلى الحاضر ومن السهل إلى الصعب وبمراعاة المستوى واهتمامات واحتياجات المتعلم وبما يوفر الوقت أيضاً لكل من (المعلم والمتعلم) ولا يثير لديهما الملل.

المطلب الثالث: مسوغات واقعية

- تطور العلوم المعاصرة تفتق عنها علوم ومعارف جديدة تحتاجها الأمة في ظل ما تعيشه في هذا الزمان المتسارع من فتن وقضايا تتطلب إعادة النظر في بنية المعرفة والفكر والعقل" وبما أنّ العصر الحالي يزخر بالعديد من المتغيرات المعرفية والتكنولوجية ذات إيقاع سريع الوثيرة، والتي لها انعكاساتها على الحياة الشخصية والمجتمعية والسياسية والفنية، وكل الجوانب التي تكون مظاهر الحياة البشرية، فإن على المناهج التعليمية أن تتسم بسمات معينة تتفق ومتطلبات العيش في هذا العصر وتحدد معالم الطريق نحو التعلم الذي يمكّن الفرد من اكتساب صفات مواطن القرن الحادي والعشرين، مثل: المنافسة والقدرة على الابتكار وعلى الاختيار والمرونة وغيرها من الصفات التي يرى التربويون أنها يجب أن تكون من أهم مخرجات التعليم. إخلاص (2016م).

- ضعف في كفاءات المتخرجين؛ فالإدارة المدرسية في حاجة إلى إعادة النظر في سياستها التعليمية، ودراسة واقعها للتعرف أكثر على مشكلات ضعف كفاءات المتخرجين يتمثل أبرزها فيما يأتي:
  - إجبار المتعلم على ولوج تخصص لا يرغبه مما يؤثر على مستويات الكفاءة.
  - ضعف الوسائل والإمكانيات والمعدات الحديثة في المؤسسات التعليمية.
  - استخدام المعلم أساليب تدريس تقليدية وعدم تشجيع المتعلم على الإبداع.
  - قلة الدورات التدريبية للمعلم التي يطور فيها ذاته ومستواه العلمي والمهني وبما ينعكس آثاره الإيجابي على المتعلم.
  - ضعف في كفاءة المعلم وكثرة غياب المتعلم والانقطاع عن الدراسة.
  - انفراد الإدارة المدرسية باتخاذ القرارات دون الاهتمام بالقدر الكافي إلى آراء ومقترحات مدرّسي المادة.
  - ضعف نظم التقويم والمتابعة والحوافز.
- مشكلات سياسات التعليم في العالم العربي والإسلامي: لما كانت سياسات التعليم العالي في الغالب من المؤسسات الأكاديمية في العالم العربي والإسلامي تقوم على رؤية منفصلة بين مختلف الحقول المعرفية، سواء في التعليم ما قبل الجامعي أو بعده؛ وهذا واضح من خلال مخرجاتها وآثارها ونتائجها مما أدى إلى التفكير من قبل عدد محدود من تلك المؤسسات في مسار التكامل المعرفي، وقد بدأت فعلاً بعض الجامعات تتنبه لهذا الخلل المذكور. ففي الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا مثلاً: توجد بها كلية تعنى (بمعارف الوحي) من جهة و(العلوم الإنسانية) من جهة أخرى؛ وهناك اتجاه إلى رد الاعتبار إلى هذا النوع من الاختيار العلمي.

وقد أعلن مؤخراً مركز دراسات الدكتوراه لجامعة شعيب الدكالي – بالمملكة المغربية – عن فتح تكوين الدكتوراه في مجال الدراسات الإسلامية والتكامل المعرفي للموسم الجامعي 2021 – 2022 وتشتمل محاور التكوين على مساقات تتعلق بقضايا التكامل المعرفي المبين أسفله.

1- الدراسات الإسلامية والتكامل المعرفي: الأسس والمنطلقات.
2- الدراسات الإسلامية والتكامل المعرفي: المناهج والمدارس والاتجاهات.
3- الدراسات الإسلامية والتكامل المعرفي: المجالات.
4- الدراسات الإسلامية والتكامل المعرفي في الفكر والحضارة والعمران الإسلامي.
5- الدراسات الإسلامية والتكامل المعرفي: الأبعاد الإصلاحية والآثار التنموية.

المطلب الرابع: مسوغات قيمية

- تناقض بين قيم تُدرس وقيم تُعايش سببها الرئيس في نظر الباحثَيْنِ هو الفصل بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية في القضايا المشتركة ذات العلاقة بوحدة الموضوع، وكذا ضعف المقاربة التعليمية التربوية الغير المتوازنة بين المجالات الثلاثة (المعرفية – والمهارية – والوجدانية) لشخصية الفرد؛ فالتلميذ يدرس القيم في المدرسة، بينما يجد عكس هذه القيم في مناهج ومقررات تربوية أخرى، ويرى عكسها تماماً خارج أسوار المؤسسة التعليمية" ينتظر في المدرسة أنْ يعامل فيها التلاميذ معاملة واحدة يتساوى فيها الفقير والغني والقبيح مع الجميل والوضيع مع الرفيع، فيها يعامل كل منهم الآخر بأدب واحترام، وينتقد كل زميل زميله بروح بريئة عطوفة خالية من الحقد والعداء، وأنْ يراعي كل منهم حقوق غيره، ويضحي بمصلحته الشخصية في سبيل المجتمع، وبهذه الوسيلة تكون المدرسة مجتمعاً مهذباً تبث فيه روح

التربية الاجتماعية الحقة، والوطنية الصادقة، والخلقية الكاملة، والعقلية المنظمة في روح الإخاء والمساواة وروح العلم والعمل وروح البحث والاطلاع وروح النظام الكامل وروح المواطنة الوطنية ". نهاري (2012م)

إعادة بناء الشخصية وإصلاح السلوك وتهذيب النفس وإعمار الارض وتحقيق الشهود الحضاري وفق الغاية الكبرى من خلق الإنسان، وهو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبودية الخالصة دون سواه، كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (56: الذاريات). على اعتبار أنّ التوحيد هو المحدد لبلوغ المقاصد والغايات والتزكية هي الأداة التي تحول القيم إلى سلوك خادم للعمران فتزود الشخصية الإسلامية بقوة روحية ومعنوية هائلة من العلوم والمعارف الموصلة إلى إدراك عظمة الله تبارك وتعالى والخضوع له وعبادته وإصلاح النفس والسلوك ونفع الآخرين أجمعين بهداية الوحي، وذلك هو السبيل الوحيد للسعادة والفوز في الدارين.

المبحث الثالث: التكامل المعرفي كمحور في إطار الفكر التربوي الإسلامي

يرى الباحثان أن التكامل المعرفي المنشود في فلسفة التربية الإسلامية لا يمكنه أن يحقق الهدف الكلي له ما لم ندرك أهميته ومراميه من منظور تربوي إسلامي، باعتقاد ما يأتي:

1- التكامل المعرفي منطلق توحيدي

إنَّ مبدأ توحيد الله هو الأصل الذي تنطلق منه فكرة تكامل المعرفة البشرية سواء أوحى الله بهذه المعرفة عن طريق الرسل والكتب المنزلة أم وهبها لخلقه عن طريق الاكتساب أو الكشف من خلال التعامل مع الكون الذي يعيش فيه فهماً وتسخيراً، ويتجلى مفهوم التوحيد في كون أدوات المعرفة البشرية (العقل والحواس) هبة من الله للإنسان كما قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (10: النحل) وهي أساس تكامل علوم الوحي مع علوم الكون، وهذه النظرة التوحيدية التكاملية هي التي تجمع الإنسان والكون في علاقة مركبة لا تناقض فيها ولا تعارض، وتحرر الإنسان من عبودية الطبيعة وألوهية الهوى الذاتي أو الحزبي إلى توحيد الخالق الديان رب الكون والإنسان، كما تجعل هذه النظرة التوحيدية التكاملية أصل العلاقات بين البشر مبنية على التعارف والتدافع لتحقيق مبدأ الاستخلاف وعمارة الأرض الذي أمر الله به كما في قوله ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (61: هود)

في حين أن أصل المعرفة لدى المذاهب الحداثية تتسم بالمنظور الأحادي، إذ تنحدر من نظرتهم الفلسفية المادية للكون، وتختزله في ظواهر لا تخرج عن المعرفة العقلية كما يراها (ديكارت) أو عن المعرفة الحسية كما يراها (جان لوك، وهوبز، وهيوم...) في إقصاء تام منهم للمعرفة الدينية المتمثلة في (الوحي) ويحكمون عليها بالعجز في تسيير الخلق والعالَم علمياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً... إلخ. وهذا النوع من الاتجاه في التفكير حصر الإنسان الحداثوي في مساحة ضيقة من الواقع وهجر الله، ونسيه!

إنه لا يضير الباحث المؤمن أن يكون لديه شغف واهتمام بأدوات المعرفة والتفوق في علومها نظير الفكر الغربي في جانبه السليم؛ لكن دونما محاكاته حذو القذة بالقذة في بناء نظرياته والتأسيس لها في قطيعة تامة بين علومها وعلوم (الوحي) المصدر الأصلي الذي تنبثق من أصوله مختلف العلوم شاءت أم أبت! وحينما ننادي بالتكامل بين العلوم لا يعني أنها جميعاً في مرتبة واحدة من حيث علاقتها بالحقيقة أو من حيث أهميتها وأولويتها؛ " فقد تتكامل أعضاء الجسم البشري

في أدائها لوظائفها لكن لا تصل قيمتها إلى أهمية القلب أو الدماغ. إبراهيم (2011م).

2- التكامل المعرفي توجه استخلافي تعبدي

إذا كانت فكرة التكامل في هذا الوجود قائمة على قوانين إلهية، مترابطة، ومحكمة، ومنضبطة، ومنسجمة بين (الوحي) و(الكون)؛ فإن المعارف والعلوم الناتجة عن هذا البحث في الكون أو الإنسان أو المجتمع لابد وأن تنضوي تحت القانون نفسه؛ وذلك بأن تتعاضد، وتتعانق، وتتكامل حقائقها وغاياتها وفلسفتها بعضها بعضاً لفهم حقيقة (الإنسان)، و(الكون)، و(الحياة)، وتفسير ظواهر الوجود تفسيراً صحيحاً يتوافق وتفسيرات الوحي المقبولة. يقول السعدي: " إنَّ العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة هي داخل ضمن علوم الدِّين، وأعماله ليست منافية لها... وبهذه الهداية الخاصة بالإنسان سخر له جميع ما وصلت إليه قدرته من علوم الكون، وهذه الهداية المجملة والمفصلة في علوم الشرع وأعماله وفي علوم الكون وأعماله فعلَّمه العلوم الشرعية وهداه إلى معرفتها ثم إلى العمل بها وعلمه علوم الكون ثم يسَّر له سبلها فسلكها وكل أحد أعطاه من هذه الأمور ما هو اللائق به وما تقتضيه حكمته التي منها إن عرف الأمور النافعة وحرص عليها، وعلى اتباع الحق واستعان الله عليها يسرها عليه وفتح عليه منها بحسب حاله وقوته وكفاءته " ابن سعدي (2011م) وساق السعدي تحت هذا المعنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. مسلم (2006م) قائلاً: " احرص على ما ينفعك "" تدخل فيه الأمور الدينية والدنيوية فمن حرص عليها واجتهد في تحصيلها وسلك الطرق الموصلة إليها واستعان الله عليها تم له ما أراد، ومن لم يحرص على الأمور النافعة أو لم يستعن بالله في تحصيلها خاب وخسر. (ابن سعدي مرجع سابق)

وبناء على هذا؛ فإنَّ كل علم يحقق مصلحة إنسانية وينسجم مع الرؤية الإسلامية فهو علم تعبدي مطلوب وقربة لله تبارك وتعالى حتى وإن كان بعض العلماء تحدثوا عن شرف بعض العلوم وعدم شرف بعض العلوم، فهذا الأمر نسبي وله سياقات معينة! تسبب للأسف في تعاطي بعض الطلبة لعلوم الدِّين وإهمالهم لعلوم الدنيا! وهو ما يتنافى وتحقيق الدعوة إلى التكامل المنشود.

إنّ العلاقة بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية أقرب ما تكون إلى النظرية والتطبيق؛ فبالعلوم الشرعية تعرف المقاصد الإلهية في العمران البشري، وبالعلوم الكونية يقيم البشر العمران الذي استخلفهم خالقهم لإقامته في هذا الوجود، وبهما معاً يكتشفون آيات الله تبارك وتعالى في الأنفس والآفاق. كما قال سبحانه ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (53: فصلت). ففي هذه الآية الكريمة: تنويه من الله جل وعلا لنوعين من العلوم هما: علم الأنفس وعلم الآفاق.

علم الأنفس: ينظر في دلائل الخالق سبحانه في وجود الإنسان ومراحل تكوينه وخلقه ومسلكه في الحياة الدنيا قبل موته، وبعثه... إلخ

علم الآفاق: ينظر في دلائل الخالق في وجود الكون في أرضه وسمائه وبحره وبره وجوه وانعكاسات ذلك على استخلاف المرء وقيامه بعمران الوجود. ونتيجة لهذا التكامل بين (علم الأنفس) و(علم الآفاق) سنكتشف العديد من الأسرار الإلهية التي تسهم في تعميق المعرفة الإيمانية.

3- التكامل المعرفي ضرورة من ضرورات الاجتهاد والتجديد والإبداع

أضحى التكامل المعرفي اليوم ضرورة من ضرورات الاجتهاد التجديد والإبداع في إعادة بناء الفكر العربي والإسلامي، ولا يعني هذا كون التراث الإسلامي لا يتوفر

على ذخيرة من الاجتهادات الفكرية الجيدة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وإنما يطمح إلى المزيد من الإنجازات التي تخدم التخصصات العلمية لتواكب أكثر تطورات العصر وتتفاعل مع تحدياته التقنية والعلمية والثقافية، وتجيب عن تساؤلات الناس المطروحة ونوازلهم المستجدة وفق رؤية شمولية تكاملية، وترد على أصحاب الرؤى الضيقة لبعض ذوي التخصصات في العلوم الاجتماعية والطبيعية الذين يتمترسون حول تخصصاتهم وينكفئون عليها وأما علاقتهم بالتراث أو ببقية المعارف والعلوم خارج تخصصهم فتغلب عليها القطيعة والنفور بدعوى المعاصرة والحداثة! وفي الوقت نفسه لم يعد مقبولاً من ذوي التخصصات الشرعية والمعارف التراثية كافة الانزواء بعيداً عن المعارف الأخرى (الاجتماعية والطبيعية) باعتبارها علوماً وضعية لا قيمة لها!

إنّ البشرية اليوم عامة والإسلامية على وجه الخصوص أحوج ما تكون إلى إعادة دراسة العلوم الاجتماعية والطبيعية بروح تخصص العلوم الإسلامية ودراسة العلوم الإسلامية بروح تخصص العلوم الاجتماعية والطبيعية... المنضبطة بميزان الشريعة لنحصل في النهاية على الانسجام التام بين الوحي والكون والإفادة منهما في صناعة الإنسان العابد لله المتوازن روحاً وفكراً ومنهجاً.

ويود الباحثان هنا الإشارة إلى أنَّ العلوم الإسلامية في مناهجها وقواعدها ومقاصدها وتقعيداتها... جهد بشري علمي لبلوغ الحقيقة، وهي أقرب ما تكون من العلوم الاجتماعية، غير أنَّ العلوم الإسلامية متميزة عنها، ومتماسكة؛ لكونها تعمل بانضباط ومعيارية عالية وتلبي جميع حاجيات الإنسان الروحية، والنفسية، والصحية، والدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، والاقتصادية، وجميع أموره الحياتية.

4- التكامل المعرفي أداة فاعلة في إحداث التغيير وتطور المجتمع

إنَّ مجتمعاتنا العربية والإسلامية أحوج ما تكون إلى التكامل المعرفي والاهتمام بقضاياه في بحوثها، ودراساتها، ومناهجها التعليمية، وموادها العلمية؛ لتكون أداة فاعلة متميزة في تطوير المجتمع وتقدمه وتفوقه بأقل كلفة وأقصر وقت، وللخروج بها من الركود والجمود والاجترار -لا سيما- في علومنا الشرعية التي هي صالحة لكل زمان ومكان، لكنها بحاجة إلى التجديد والاجتهاد على نحو مستمر لمعرفة واقع الزمان والمكان الذي تعيشه حتى تكون الأحكام مكيفة مع مستجدات العصر الحديث، فتجمع بين الأصالة والمعاصرة، في إطار الثوابت والمتغيرات، بحيث تحفظ علينا القديم الصالح وتفيدنا بالجديد النافع.

ولضمان نجاح هذا التوجه والمسار لابد ابتداءً قبل كل شيء من الإقرار والاعتراف بعلمية كل حقل معرفي فلا يمكن أن يقوم إنسان بدراسة علم معين وهو (لا يراه مفيداً)! بناء على بعض نتائجه التي قد لا يتفق معها في جانب من الجوانب، فقد يكون له الحق في ذلك؛ لكن لا يعمم الحكم إلا بعدما يخبُره في باقي الجوانب الأخرى؛ عملاً بالقاعدة النبوية: " صدقك وهو كذوب " (البخاري مرجع سابق) ؛ وهذه قاعدة علمية علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة حينما رغب الشيطان في تعليمه آية الكرسي وهي تتكون من شقين: العجين (2020م)

الأول: أنّ علينا أن نبحث في صدق المعرفة التي تصلنا وفي هذه الحادثة تم التحقق من الحق بواسطة الوحي ممثلا بشخص النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: لا مانع من قبول الحق من مصدر فاقد للشرعية الأخلاقية أو الدينية بما أنه نطق بالحق.

يقول الدكتور فتحي ملكاوي: "... كثير من علماء عصرنا في البلدان المختلفة يُعدون كفاراً وملحدين لكنهم علماء موثوقون في علمهم ومجالات تخصصهم إذ لا يمنعهم فسقهم وكفرهم من أنْ يصلوا إلى الحقائق والمفاهيم والمبادئ العلمية فيما يتعلق بالوجود الطبيعي أو الاجتماعي والنفسي... "" ملكاوي (2016م) .

ومن وجهة نظر أخرى مقابلة يرى الباحثان: أنه لا يمكننا تحقيق تكامل معرفي مع رؤى بعض الباحثين المتأثرين بالأفكار الأيديولوجية المناقضة لثوابت الأمة ومعتقداتها الكلية الكبرى وقيمها الأصيلة، ومن تجزئة الدِّين ولا سيما من منظور الفكر التربوي الإسلامي، وحصره في إطار العلاقة الفردية بين الخالق والمخلوق، بعيداً عن النظرة الشاملة التكاملية الفاعلة له في ميادين الإنسان والكون والحياة والنظم المجتمعية ومؤسسات التنشئة والمعرفة والقيم، ومن ثمَّ فثمة قصور من قبل بعضهم للمنهجية الإسلامية وآفاقها وآثارها الفكرية والتربوية الإيجابية من الجوانب المختلفة. وبمثل ذلك القصور في إدراك فلسفة الدِّين التربوية تزداد عملية التراجع الفكري، حين تتشظّى المعارف، وتنفصل عراها عن بعضها، في غياب مظلة الوحدة المعرفية الكلية الجامعة.

أولاً: نتائج الدراسة :

في ضوء ما تم عرضه يخلص الباحثان إلى النتائج الآتية:

1- يشير مفهوم التكامل المعرفي وأسرته المفاهيمية في الغالب إلى تشابك علم مع علم آخر من أجل الحصول على نتائج متكاملة حول قضية ما، كما يعد التكامل المعرفي من بين المفاهيم التي تختلف دلالاته الاصطلاحية باختلاف مجال التخصص وموضوع الدراسة.

2- التكامل المعرفي له من المسوغات (المعرفية، والمنهجية، والواقعية، والقيمية) ما يجعله مطلباً ضرورياً يفرضه واقع التعليم والعلوم ومشكلات العصر في تفسير الظواهر الكونية والإنسانية ومواجهة التحديات المعاصرة على غرار ما قدمه علماؤنا السابقون ممن جمعوا بين الوحي المسطور والوحي المنظور.

3- أنَّ التكامل المعرفي المنشود في الفكر التربوي الإسلامي لا يمكنه أنْ يحقق الهدف الكلي ما لم ندرك أهميته ومراميه على أنه منطلق توحيدي، وتوجه استخلافي تعبدي، وضرورة من ضرورات الاجتهاد والتجديد والإبداع، وأداة فاعلة في إحداث التغيير وتطور المجتمع خاصة مع مجتمع المعرفة اليوم الذي يفرض الشراكة البحثية في تناول القضايا خدمة لمشروع الأمة الحضاري.

ثانياً: توصيات الدراسة :

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثان بـ :

- إجراء المزيد من البحوث والدراسات حول موضوع التكامل المعرفي لأنه موضوع الساعة، ويشغل بال العديد من الباحثين والمؤسسات والمعاهد والجامعات ممن أصبحوا يتجهون نحو التفكير فيه واعتماده من خلال إعداد البرامج والمشاريع والبحوث العلمية.
- تبني المؤسسات التربوية ومختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية فلسفة التربية الإسلامية – بمعناها العام الشامل – وجعلها بمثابة النموذج القياسي الحاكم والمعيار الأعلى Paradigm لمختلف الأنشطة والفعاليات التربوية والنفسية والاجتماعية، الهادفة إلى الارتقاء بالجيل، من مختلف جوانب شخصيته: روحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً... إلخ.

قائمة المراجع

إبراهيم محمد، أبوبكر، **التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، بالجامعة العالمية بماليزيا**، الناشر: دار: المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية 2011م.

ابن تيمية، أحمد، **تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الثالثة، 1991م.

ابن خلدون، عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون**، ضبط المتن: خليل شحاذة، ومراجعة: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، بدون ذكر الطبعة، 2001م.

ابن رشد، محمد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1969م.

ابن فارس، أحمد أبو الحسين، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، بدون ذكر الطبعة 1979م.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم**، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، 1997م.

ابن منظور، محمد مكرم، أبو الفضل، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر، بيروت، بدون ذكر الطبعة وتاريخها.

الأنصاري، فريد، **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، الناشر: منشورات الفرقان، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى،1997م.

الباقر محمد حاج يعقوب، **التصور الإسلامي للعلم وأثره في إدارة المعرفة**، الناشر: مجلة الإسلام في آسيا، مج: 8 العدد: 4، 2011م.

البخاري، محمد بن اسماعيل، أبو عبد الله، **صحيح البخاري**، الناشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى،2002م.

الجرجاني، علي بن محمد، أبوبكر، **التعريفات**، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، بدون ذكر الطبعة، 2002م.

جلالي، الأمين محمد، **مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية**، ج 16 / العدد: 2، جامعة محمد لمين دباغين سطيف– الجزائر– 2019م

حاج محمد، **ابستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج**، الناشر: دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

حاج محمد، **منهجية القرآن وأسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية**، الناشر: دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

الحبيب، بكر تركي، **استخدام مداخل التكامل المعرفي في التطوير لمنظمات الخدمة العامة، كلية الإدارة والاقتصاد**، جامعة بغداد، الناشر: موقع: lasj. net تاريخ الاطلاع: 15 / 04 / 2023م.

حسن، محمد علي، **إسلامية المعرفة مدخل لتحقيق التكامل المعرفي مدخل لتحقيق التكامل المعرفي في قسم التربية الإسلامية** بكلية التربية جامعة الأزهر، أطروحة دكتوراه، جامعة المنصورة، مصر 2019م.

حسين، عقلية، **ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري، مقاربة تأصيأتية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها**، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى 1433 هـ عام 2012م.

الدغامين، زياد خليل، **التكامل المعرفي في القرآن الكريم**، الناشر: المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، مج: 9، العدد: 1. 2013م.

السعدي، عبد الرحمن ناصر، **الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي**، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ضمن مجموع أعمال التفسير وعلوم القرآن، الطبعة الأولى، 2011م.

السيد، عُلا اسماعيل، **إسلامية المعرفة مدخل لتحقيق الإصلاح التربوي داخل كليات التربية**، الناشر: مجلة كلية التربية، بجامعة المنوفية – العدد: 3، 2016م

شبيل، عبد العزيز، **نظرية الأجناس الأدبية**، بدون ذكر الطبعة، جدة: النادي الأدبي الثقافي 2006م.

شهاب، منى عبد الصبور، **منهج مقترح للعلوم المتكاملة للمستوى الثاني من التعليم الأساسي**، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر 1986م.

عبد الحي، اخلاص محمد، **المناهج التعليمية: سمات يجب توفرها لمواكبة العصر الحالي**، الناشر: موقع New–educ. com تاريخ الاطلاع : 15 / 04 / 2023م.

العجين، علي إبراهيم، **التكامل المعرفي بين السنة النبوية والعلوم العصرية** (المنهجية والتطبيق) الناشر: مشروع نقاء تكنولوجيا التعليم الشرعي، الطبعة الأولى، عمان – المملكة الأردنية الهاشمية 2020م.

عروس بسمة، **التفاعل في الأجناس الأدبية**، الناشر: دار الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى 2001م.

عزت، محمد عبد الموجود، وآخرون، **أساسيات المنهج وتنظيماته**، الناشر: دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981م.

غزالي، محمد، أبو حامد، **إحياء علوم الدِّين**، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م

القرافي، شهاب الدين، أبو العباس، **الفروق**، تحقيق: عمر حسن القيام، الناشر: دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، العالمية 2003م.

الكفوي، أيوب موسى أبو البقاء، **الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1998م.

ملكاوي، حسن فتحي، **منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية**، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هردن، فيرجينا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الثانية، 2016م.

نهاري، امبارك، **التربية على القيم بين التعليمات والمعاملات**، الناشر: موقع OujdaCity تاريخ الاطلاع: 2023 / 05/ 02

النيسابوري، مسلم الحجاج أبو الحسين، **صحيح مسلم**، الناشر: دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى 2006م.

همام، محمد، **تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي، دراسة في العلاقات بين العلوم**، الناشر: مركز نماء للبحوث والدراسات، دراسات فكرية بيروت، الطبعة الأولى، 2018م.